



ALLAH  
KNOWING  
[Knowingallah.com](http://Knowingallah.com)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نَدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ

النداء التاسع و سبعون

تحريم اتخاذ أعداء الإسلام أولياء



علٰى بن نايف الشحود

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## النداء التاسع وسبعون

### تحريم اتخاذ أعداء

### الإسلام أولياء

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوْا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلَيَاءَ ثُلَّقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَإِيمَانِكُمْ )

مَرْضاتِي تُبَرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَغْلَقْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

(٦) إِنْ يَتَقْفِكُمْ يَعْثُرُونَ لَهُمْ أَعْدَاءٌ وَبَيْسُطُوا إِلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَالْأَسْتَهْمُ بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَصْفُرُونَ (٧)

لَنْ تَنْقَعِدُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٨) قَدْ كَانَتْ

لَهُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرُنَا

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبْدًا حَقَّ ثُوَبُنَا إِلَيْهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ لَا سَغْفَرَنَ

لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِنَنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ التَّصِيرُ (٩) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً

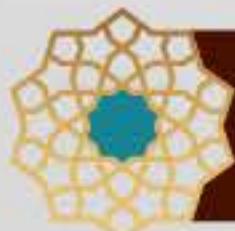
لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٠) سورة المحتدنة



هَذِهِ الْآيَةُ نَزَّلْتُ فِي حَاطِبَ بْنِ أَبِي بَلْتَغْةَ، وَكَانَ حَاطِبُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَرَكَ فِيهَا مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ قُرَيْشٍ. فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتْحَ مَكَّةَ دَعَاهُ اللَّهُ أَنْ يُعْمِلَ الْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى يَأْخُذُهُمْ عَلَى حِينِ غَرْرَةٍ، فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُعْرِفُهُمْ بِعَزْمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَزْوَهُمْ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ امْرَأَةٍ لِيَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا. وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالْكِتَابِ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَزَبَرْيْهِ، وَأَمْرَهُمَا بِالْذَّهَابِ إِلَى رَوْضَةِ خَاتِمِ النَّبِيِّ بِالْكِتَابِ مِنَ الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا جَاءَهَا طَلَبَتْ مِنْهَا الْكِتَابَ فَأَنْكَرَتْهُ، فَهَدَدَاهَا بِتَجْرِيدِهَا مِنْ ثِيَابِهَا لِتَفْتِيشِهَا، فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ ضَفَائِرِ شَعْرِهَا.

وَسَأَلَ الرَّسُولُ حَاطِبًا عَنِ الْكِتَابِ فَاعْتَرَفَ وَقَالَ لِلرَّسُولِ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا لِيَتَّخِذَ بِهِ يَدًا عَنْدَ قُرَيْشٍ يَحْمِي بِهَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَمَالَهُ. فَقَالَ الرَّسُولُ لِلصَّاحِبَةِ إِنَّهُ صَدَقُكُمْ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَعْنِي أَضْرِبْ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ الرَّسُولُ : إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنْ لَا يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا لَهُمْ يُبَلِّغُونَهُمْ أَخْبَارَ الرَّسُولِ الَّتِي لَا يُنْبَغِي لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَطْلُغُوا عَلَيْهَا ، وَقَدْ كَفَرَ هُؤُلَاءِ الْكُفَّارُ

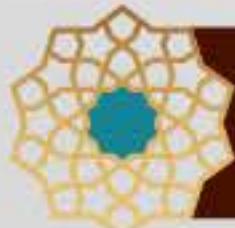


بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ، فَكَيْفَ بُكْمَ بَعْدَ هَذَا تَتَخْذِذُونَهُمْ  
أَنْصَارًا تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيُضُرُّ الرَّسُولُ  
وَالْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ  
أَظْهَرِهِمْ كُرْهًا بِالتَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ  
لَّهُمْ ذَنْبٌ يُؤَاخِذُونَ عَلَيْهِ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ كُنْتُمْ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، قَدْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي  
سَبِيلِي، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، فَلَا تُوْلُوا أَعْدَائِي، وَمَنْ يَفْعَلْ  
هَذِهِ الْمُؤَاوَالَةَ، وَيَفْشِلْ سَرَّ الرَّسُولِ لِأَعْدَائِهِ، فَقَدْ حَادَ عَنْ  
قَصْدِ الطَّرِيقِ الْمُوَصَّلِ إِلَى الْجَنَّةِ.

إِنْ ظَفَرَ بُكْمَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ  
، يُظْهِرُوْنَ لَكُمْ عَدَاوَتَهُمْ، وَيَمْدُوْنَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ  
وَالْسَّنَتَهُمْ بِمَا يَسُوءُكُمْ : يُقَاتِلُونَكُمْ وَيُشَتَّمُونَكُمْ  
وَيَتَمَنُّونَ لَوْ تَكْفُرُونَ بِرَبِّكُمْ فَتَكُونُونَ عَلَى مِثْلِ دِينِهِمْ،  
فَكَيْفَ تُسْرُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ بِالْمَوْدَةِ وَهَذِهِ هِيَ حَالُهُمْ؟

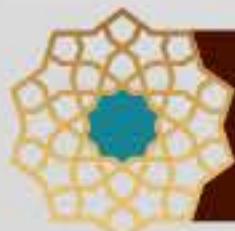
وَيَرِدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الَّذِي اعْتَذَرَ بِرَغْبَتِهِ فِي الْمُحَافَظَةِ  
عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَمْوَالِهِ فِي مَكَّةَ، بَأْنَ الْأَقَارِبَ وَالْأَوْلَادَ، الَّذِينَ  
تُوَالُونَ الْكُفَّارَ مِنْ أَجْلِهِمْ، لَنْ يَنْفَعُوكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ  
يَدْفَعُوا عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا  
، لَأَنَّهُ سَيَفْصُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقَارِبِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ  
الْعَصِيبِ . وَيَذْهَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَّنْ سَوَاهُ، وَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ  
شَأنٌ يُغَنِّيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ .  
أَفَلَا تَأْسِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُوَادُونَ الْكَافِرِينَ بِأَيْمَانِهِمْ إِبْرَاهِيمَ ،



وَأَضْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ  
: إِنَّا بُرَآءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْإِلَهَةِ وَالْأَنْدَادِ  
، وَجَحَدْنَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْكَرْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ حِجَارَةٍ وَأَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ ، وَقَدْ أَعْلَمْنَا  
الْحَرْبَ عَلَيْكُمْ ، فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَسَبَقَنَا عَلَى  
ذَلِكَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتُوَحِّدُوهُ ، وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ ، وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ  
وَالْأَوْثَانِ .

وَلَكُمْ فِي أَبْيَكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ تَتَّلَوْنَ بِهَا  
، وَتَعْتَبِرُونَ بِهَا فِي مَسْلَكِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ ، وَلَا تَشَتَّتُوا مِنْ  
تَصْرِفَاتِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي تَقْتَدُونَ بِهَا إِلَّا اسْتَغْفَارُهُ لِأَبِيهِ الَّذِي  
بَقِيَ مُقِيمًا عَلَى الْكُفْرِ ، فَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ : إِنَّهُ  
سَيَسْتَغْفِرُ لَهُ اللَّهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ  
، فَالْأَمْرُ مَرْدُودٌ إِلَى مَشِيَّةِ اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ .  
وَلَكِنَّ هَذَا القَوْلُ صَدَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ حِينَما وَعَدَهُ أَبُوهُ بِأَنَّهُ  
سَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَيَتَبَعِّهُ فِيمَا يَعْبُدُ . فَلَمَّا تَبَيَّنَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ  
عَدْوَ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .

وَحِينَما فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ قَوْمَهُمْ لَجَهُوا إِلَى  
اللَّهِ مُتَضَرِّعِينَ قَائِلِينَ : رَبُّنَا إِنَّا اعْتَمَدْنَا عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ  
أُمُورِنَا ( تَوَكَّلْنَا ) ، وَرَجَعْنَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِنَا ، وَإِلَيْكَ  
مَصِيرُنَا حِينَ تَبَعَّثُنَا مِنْ قُبُورِنَا لِلْعَزْضِ وَالْحِسَابِ . فَاقْتَدُوا



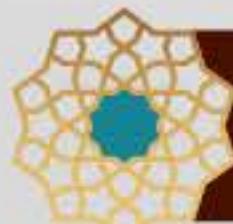
بِهِمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَقُولُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ .  
رَبِّنَا وَلَا تُسْلِطْ قَوْمَنَا الْكَافِرِينَ عَلَيْنَا ، وَلَا تَجْعَلْهُمْ يَظْهَرُونَ  
عَلَيْنَا ، فَيَعْمَلُوا عَلَى فِتْنَتِنَا عَنْ دِينِنَا بِالْعَذَابِ وَالنَّكَالِ .  
وَهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لَأَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فِيمَا  
يَقُولُونَ ، وَفِيمَا يَعْبُدُونَ ، رَبِّنَا وَاسْتَرْ ذُنُوبَنَا عَنْ غَيْرِكَ ، وَاعْفُ  
عَنَّا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، إِنَّكَ يَا رَبَّ أَنْتَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا  
يُضَامُ ، الْحَكِيمُ فِيمَا تَشْرَعُ ، وَفِيمَا تَقْضِي .

يدعوهם ليصرهم بحقائق موقفهم ، ويحذرهم حبائل  
أعدائهم ، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم .  
وفي مودة يجعل عدوهم عدوه ، وعدوه عدوهم :

{ لا تتخذوا عدوكم عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } ..  
فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه . يعاديهم من يعاديه .  
فهم رجاله المنتسبون إليه الذين يحملون شارته في هذه  
الأرض ، وهم أوداؤه وأحباؤه . فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى  
أعدائهم وأعدائه .

ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم  
وعلى رسولهم ، وعدوانهم على هذا كله في تجن وظلم  
: { وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول  
وإياكم . أن تؤمنوا بالله ربكم } ..

فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟  
كفروا بالحق . وأخرجوا الرسول والمؤمنين ، لا لشيء إلا



لأنهم آمنوا بالله ربهم؟ إنه يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم . وهي التي حاربهم المشركون من أجلها ، لا من أجل أي سبب آخر . ويز بقضية التي عليها الخلاف والخصومة وال الحرب . فهي قضية العقيدة دون سواها . قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه ، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم .

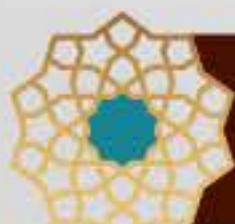
وإذا تم حضرة القضية هكذا وبررت ، ذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهاً في سبيله :

{ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وإبتغاوا مرضاتي } ..  
فما يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهاداً في سبيل الله ابتغاوا مرضاته الله ، مع مودة لمن أخرجه من أجل إيمانه بالله ، وهو عدو الله وعدو رسول الله !

ثم يحذرهم تحذيراً خفيأً مما تكن قلوبهم ، وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة ، وهو مطلع على خفية القلوب وعلانيتها :

{ تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتكم وما أعلنتكم }.  
ثم يهددهم تهديداً مخيفاً ، يثير في القلب المؤمن الوجل والمخافة :

{ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } ..



**وَهُلْ يَخِيفُ الْمُؤْمِنُ شَيْءٌ مَا يَخِيفُهُ أَنْ يَضُلَّ سَوْءُ السَّبِيلُ  
بَعْدَ الْهُدَى وَالْوُصُولُ؟!**

وهذا التهديد وذلك التحذير يتواتطان تبصير المؤمنين  
بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد . ثم  
تجيء البقية :

**{إِنْ يَتَقْفِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيُسْطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ  
وَأَسْنَتُهُمْ بِالسُّوءِ} ..**

فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى  
يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل . ويوقعوا بهم ما  
يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل  
وسيلة وكل سبيل .

**والأدهى من هذا كله وأشد والأنكى : { ٩٩ دُوَّلُو تَكْفُرُونَ }**

..  
وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه  
باليد أو اللسان . فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز .  
كنز الإيمان . ويرتد إلى الكفر ، هو أعدى من كل عدو يؤذيه  
باليد وباللسان !

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر ، ويهتدي بنوره بعد  
الضلال ، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه  
ومشارعه واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة  
إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار .

أو أشد . فعدوا الله هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر



وقد خرج منه إلى جنة الإيمان ، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور .

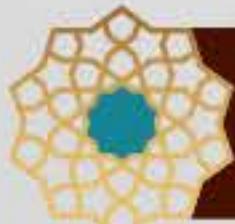
لهذا يتدرج القرآن في تهيئة قلوب المؤمنين ضد أعدائه وأعدائهم حتى يصل إلى قمته بقوله لهم عنهم : { ٩٩ وَدُوَا لَوْ تَكْفُرُونَ } ..

هذه هي الجولة الأولى بلمساتها المتعددة . ثم تليها جولة ثانية بلمسة واحدة تعالج مشاعر القرابة ووسائلها المتصلة؛ والتي تشترج في القلوب فتجرها جراً إلى المودة؛ وتنسيها تكاليف التمييز بالعقيدة :

{ لَنْ تَنْفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ . وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } .

إن المؤمن يعمل ويرجو الآخرة . ويزرع هنا وينتظر الحصاد هناك . فلمسة قلبه بما يكون في الآخرة من تقدير وشائج القربى كلها إذا تقطعت وشيجة العقيدة ، من شأنها أن تهون عنده شأن هذه الوشائج في فترة الحياة الدنيا القصيرة؛ وتوجهه إلى طلب الوشيجية الدائمة التي لا تقطع في دنيا ولا في آخرة :

ومن ثم يقول لهم : { لَنْ تَنْفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ } .. التي تهفوون إليها وتعلق قلوبكم بها؛ وتضطركم إلى موادة أعداء الله وأعدائكم وقاية لها كما حدث لحاطب في حرصه على أولاده وأمواله وكما تجيش خواطر آخرين غيره حول أرحامهم وأولادهم الذين خلفوهم في دار

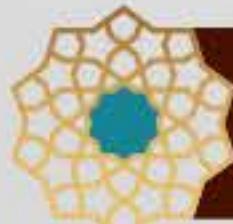


الهجرة . لَنْ تَنْفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ . ذَلِكَ أَنَّهُ { يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ } . . لأن العروة التي تربطكم مقطوعة . وهي العروة التي لا رباط بغيرها عند الله .

{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } . . مطلع على العمل الظاهر والنية وراءه في الضمير .

ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة : أمة التوحيد . وهذه القافلة الواحدة : قافلة الإيمان . فإذا هي ممتدة في الزمان ، متميزة بالإيمان ، متبرئة من كل وشيعة تنافي وشيعة العقيدة .. إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم . أبيهم الأول وصاحب الحنيفة الأولى . وفيه أسوة لا في العقيدة وحدتها ، بل كذلك في السيرة ، وفي التجارب التي عانها مع عاطفة القرابة ووسائلها؛ ثم خلص منها هو ومن آمن معه ، وتجرد لعقيدته وحدتها :

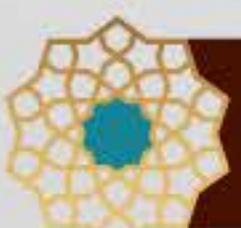
{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ: إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: إِنَا بِرَاءٌ مِّنْكُمْ، وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالبغضاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تَؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . إِلَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، لِأَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ مَا أَمْلَكْتُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ . رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِلْنَا، وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا، وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فَتَنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . . لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .



ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد } ..  
وينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، وماض طويل ، وأسوة  
ممتدة على أماد الزمان ، وإذا هو راجع إلى إبراهيم ، لا في  
عقيدته فحسب ، بل في تجاربه التي عانها كذلك .  
فيشعر أن له رصيداً من التجارب أكبر من رصيده الشخصي  
وأكبر من رصيد جيله الذي يعيش فيه . إن هذه القافلة  
الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله ،  
الواقفين تحت راية الله ، قد مرت بمثل ما يمر به ، وقد  
انتهت في تجربتها إلى قرار اتخاذته . فليس الأمر جديداً ولا  
مبتدعاً ولا تكليفاً يشق على المؤمنين . . ثم إن له لامة  
طويلة عريضة يلتقي معها في العقيدة ويرجع إليها ، إذا  
انبثت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته . فهو فرع من شجرة  
ضخمة باسقة عميقه الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال . .  
الشجرة التي غرسها أول المسلمين . . إبراهيم . .

مر إبراهيم والذين معه بالتجربة التي يعانيها المسلمون  
المهاجرون . وفيهم أسوة حسنة : { إذ قالوا لقومهم : إنا  
براء منكم وما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا  
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله  
وحده } ..

فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم . وهو  
الكفر بهم والإيمان بالله . وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع  
حتى يؤمن القوم بالله وحده . وهي المفاصلة الحاسمة



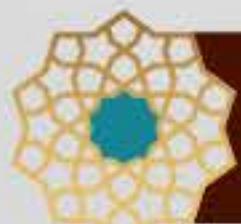
الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيج العقيدة وأصرة الإيمان . وفي هذا الفصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل . وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين .

ولقد كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه وهو مشرك ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوي قرباهم من المشركين . فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم في قوله لأبيه : { لاستغفرن لك } ..

فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك . قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه : { فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه } .. كما جاء في سورة أخرى .

ويثبت هنا أن إبراهيم فوض الأمر كله لله ، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال : { وما أملك لك من الله من شيء . ربنا عليك توكلنا وإليك أربنا وإليك المصير } ..

وهذا التسلیم المطلق لله ، هو السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبناء المسلمين . حلقة من حلقات التربية والتوجيه بالقصص والتعقیب عليه ، وإبراز ما في ثنایه من ملامح وسمات وتوجیهات على طریقة القرآن الكريم .



ويستطرد لهذا في إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه

**لمولاه :** { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } ..

فلا تسلطهم علينا . فيكون في ذلك فتنـة لهم ، إذ يقولون : لو كان الإيمان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم ! وهي الشبهة التي كثيراً ما تحـيك في الصدور ، حين يتمكن الباطل من الحق ، ويـسلط الطغـاة على أهل الإيمـان لـحكمة يـعلـمـها الله في فـترة من الفـترـات .

والمؤمن يـصـبر لـلـابتـلاء ، ولكن هذا لا يـمـنـعـه أن يـدعـوـ الله أـلا يـصـيبـهـ الـباءـ الـذـيـ يـجـعـلـهـ فـتنـةـ وـشـبـهـةـ تـحـيكـ فيـ الصـدـورـ .

**وبقية الدعاء :** { واغـفرـ لـنـا } ..

يـقولـهاـ إـبرـاهـيمـ خـليلـ الرـحـمـنـ . إـدـراكـاـ مـنـهـ لـمـسـتـوىـ العـبـادـةـ التـيـ يـسـتـحـقـهاـ مـنـهـ رـبـهـ ، وـعـجزـهـ بـبـشـرـيـتـهـ عـنـ بـلـوغـ المـسـتـوىـ الـذـيـ يـكـافـئـ بـهـ نـعـمـ اللهـ وـأـلـاءـهـ ، وـيـمـجـدـ جـلـالـهـ وـكـبـرـيـاءـهـ فـيـطـلـبـ المـغـفـرـةـ مـنـ رـبـهـ ، ليـكـونـ فـيـ شـعـورـهـ وـفـيـ طـلـبـ أـسـوـةـ لـمـنـ مـعـهـ وـلـمـنـ يـأـتـيـ بـعـدـهـ .

ويـخـتـمـ دـعـاءـهـ وـإـنـابـتـهـ وـاسـتـغـفارـهـ يـصـفـ رـبـهـ بـصـفـتـهـ الـمـنـاسـبـةـ لـهـذـاـ دـعـاءـ : { رـبـنـاـ إـنـكـ أـنـتـ الـعـزـيزـ الـحـكـيمـ } .

الـعـزـيزـ : الـقـادـرـ عـلـىـ الـفـعـلـ ، الـحـكـيمـ : فـيـمـاـ يـمـضـيـ مـنـ تـدـبـيرـ .

وـفـيـ نـهـاـيـةـ هـذـاـ عـرـضـ لـمـوـقـفـ إـبـرـاهـيمـ وـالـذـينـ مـعـهـ ،

وفي استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها؛ مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين : { لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

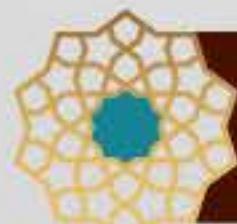
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد } ..

فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . هؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عانوها هذا الرهط الكريم ، ويجدون فيها أسوة تتبع ، وسابقة تهدي . فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة .. وهو تلميح موح للحاضرين من المؤمنين .

فاما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج . من يريد أن يحيد عن طريق القافلة . من يريد أن ينسلاخ من هذا النسب العريق . فما بالله من حاجة إليه سبحانه { فإن الله هو الغني الحميد } ..

وتنتهي الجولة وقد عاد المؤمنون أدراجهم إلى أوائل تاريخهم المديد ، ورجعوا بذكرياتهم إلى نشأتهم في الأرض؛ وعرفوا تجاربهم المذخورة لهم في الأجيال المتزاولة ، ورأوا القرار الذي انتهت إليه من مروا بهذه التجربة؛ ووجدوها طريقاً معبدة من قبل ليسوا هم أول السالكين فيها .

والقرآن الكريم يؤكد هذا التصور ويكرره ليتصل ركب المؤمنين ، فلا يشعر بالغرابة أو الوحشة سالك ولو كان

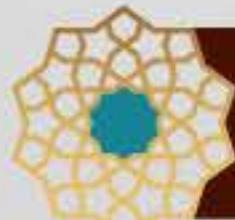


**وَحْدَهُ فِي جَيلٍ! وَلَا يَجِدُ مَشْقَةً فِي تَكْلِيفٍ نَهْضَهُ بِهِ  
السَّالِكُونَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ!**

بعدئذ يعود فينسن على هذه القلوب التي يعلم الله ما بها من حنين ورغبة في زوال حالة العداء والجفوة التي تكشفهم هذه المشقة . ينسن عليها بنسمة الأمل الندية في أن ينضم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام ، وإلى صفوف المسلمين؛ فيكون هذا هو الطريق لزوال الجفوة وقيام الود على أساسه الركيتين .. ثم يخفف عنهم مرة أخرى وهو يضع القاعدة الإسلامية الكبرى في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ، فيجعل المقاطعة والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان .

فأما حين ينتفي العداء والعدوان فهو البر لمن يستحق البر ، وهو القسط في المعاملة والعدل : { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مُوَدَّةً ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولُوهُمْ . وَمَنْ يَتُوَلَّهُمْ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ } ..

إن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن



يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفون متحابين . وليس هناك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله . فاما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة ، انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لواءه الرفيع . ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

وفي الآية الأولى من هذا المقطع إشارة إلى هذا الرجاء الذي لا يغلب عليه اليأس؛ في معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين ، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة وال الحرب للأهل والعشيرة :

**{ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مُوْدَةً }**

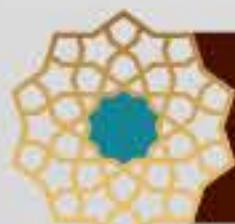
وهذا الرجاء من الله ، معناه القطع بتحققه . والمؤمنون الذين سمعوه لا بد قد أيقنوا به ، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة ، وأن أسلمت قريش ، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد ، وأن طويت الثارات والمواجد ، وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب .

**{ وَاللَّهُ قَدِيرٌ }** .. يفعل ما يريد بلا معقب .

{**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} .. يغفر ما سلف من الشرك والذنوب ..

وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم في مواداة من لم يقاتلواهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم . ورفع عنهم الحرج في أن يبروهם ، وأن يتحرر العدل في معاملاتهم معهم فلا يخسونهم من حقوقهم شيئاً . ولكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلواهم في الدين وأخرجواهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم . وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون .. ومن معاني الظلم الشرك بالرجوع إلى قوله تعالى : {**إِنَّ الشَّرَكَ لِظُلْمٍ عَظِيمٍ**} .. وهو تهديد رهيب يرجع منه المؤمن ، ويتقي أن يدخل في مدلوله المخيف ! وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية ، بل نظرته الكلية لهذا الوجود ، الصادر عن الله واحد ، المتجه إلى الله واحد ، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي ، من وراء كل اختلاف وتنوع .

وهي أساس شريعته الدولية ، التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جمياً هي الحالة الثابتة ، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة ردّه ، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة ، وهي تهديد بالاعتداء؛ أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد . وهو كذلك اعتداء .



وفيما عدا هذا فهي السلم والمودة والبر والعدل للناس  
أجمعين .

ثم هي القاعدة التي تتفق مع التصور الإسلامي الذي يجعل  
القضية بين المؤمنين ومخالفتهم هي قضية هذه  
العقيدة دون غيرها؛ ويجعل القيمة التي يضن بها المؤمن  
ويقاتل دونها هي قضية العقيدة وحدها . فليس بينهم  
وبين الناس ما يتخاصمون عليه ويقاتلون إلا حرية الدعوة  
وحرية الاعتقاد ، وتحقيق منهج الله في الأرض ، وإعلان  
كلمة الله .

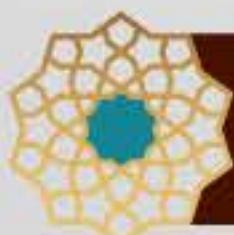
وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه السورة كلها إلى إبراز قيمة  
العقيدة ، وجعلها هي الرأي الوحيدة التي يقف تحتها  
المسلمون . فمن وقف معهم تحتها فهو منهم . ومن  
قاتلهم فيها فهو عدوهم . ومن سالمهم فتركهم  
لعقيدتهم ودعوتهم ، ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل  
بينهم وبين سماعها ، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو  
مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه .

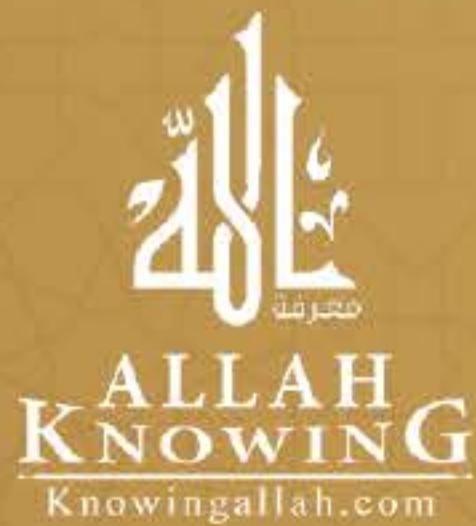
إن المسلم يعيش في هذه الأرض لعقيدته ، ويجعلها  
قضيته مع نفسه ومع الناس من حوله . فلا خصومة على  
مصلحة ، ولا جهاد في عصبية أي عصبية من جنس أو أرض  
أو عشيرة أو نسب . إنما الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا  
، ولتكون عقيدته هي المنهج المطبق في الحياة .  
ولقد نزلت بعد ذلك سورة التوبة وفيها { براءة من الله



**وَرَسُولُهُ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ .. الْخَ } فَانْتَهَتْ**

بِهِذَا حَالَةُ الْمُعَاہَدَةِ وَالْمُوَادِعَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ كَافَةً . بَعْدَ مَهْلَةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ لِأَصْحَابِ الْمُعَاہَدَاتِ غَيْرِ الْمُسْمَأَةِ الْأَجْلِ ، وَمَهْلَةٌ إِلَى اِنْتِهَاءِ الْأَجْلِ لِأَصْحَابِ الْمُعَاہَدَاتِ الْمُسْمَأَةِ . وَلَكِنْ هَذَا إِنَّمَا كَانَ بَعْدَمَا أَثْبَتَ التَّجَارِبُ أَنَّ الْقَوْمَ لَا يَرْعَوْنَ عَهْوَدَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رِيَثَمَا تُسْنَحُ لَهُمُ الْفَرْصَةُ لِنَقْضِهَا وَهُمُ الرَّابِحُونَ! فَانْطَبَقَتِ الْقَاعِدَةُ الْأُخْرَى : { **إِنَّمَا تَخَافُنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبَذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** } وَكَانَ هَذَا ضَرُورَةً لِتَأْمِينِ الْقَاعِدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَهِيَ حِينَئِذٍ شَبَهَتِ الْجَزِيرَةِ كُلَّهَا مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَائِهِمُ الْمُعَايِشِينَ لَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ تَكَرَّرَتْ غُدْرَاتُهُمْ وَنَقْضُهُمْ لِلْعَهُودِ . وَهِيَ حَالَةُ الْاعْتِدَاءِ فِي صَمِيمِهَا ، تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا حَالَةُ الْاعْتِدَاءِ . وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ الْإِمْپِرَاطُورِيَّتَيْنِ الْمُحِيطَيْتَيْنِ بِأَرْضِ الإِسْلَامِ قدْ بَدَأْتَا تَجْمِعَانِ لَهُ وَتَشْعَرَانِ بِخَطْرِهِ ، وَتَؤْلِبَانِ عَلَيْهِ الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَاخِمَةِ الْخَاضِعَةِ لِلدوَلَتَيْنِ الرُّومَانِيَّةِ وَالْفَارَسِيَّةِ . فَلَمْ يَبْقَ بَدْ مِنْ تَطْهِيرِ الْمُعْسَكَرِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ بَقِيَّةِ أَعْدَائِهِ قَبْلَ الالْتِحَامِ فِي الْمُعَارِكِ الْخَارِجِيَّةِ الْمُتَوَقَّعةِ يَوْمَ ذَاكِ.





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
نَدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ

النداء التاسع وسبعون

علي بن نايف الشحود